تفسير سورةُ الأنْبياءِ
من آية (92) إلى آية (100)
اللقاء العاشر

المعنى الإجمالي من آية (87) إلى آية (91):

واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- صاحِبَ الحُوتِ؛ يُونُسَ عليه السَّلامُ، إذ خرَج مِن قَومِه غاضِبًا عليهم؛ لعدَمِ إيمانِهم، فظَنَّ يُونُسُ أنَّنا لن نُعاقِبَه هذه العُقوبةَ، فنُضَيِّقَ عليه بحَبسِه في بَطنِ الحُوتِ، فنادى رَبَّه في الظُّلُماتِ تائبًا مُعترِفًا بظُلمِه، قائلًا: لا إلهَ إلَّا أنت سُبحانَك، إنِّي كنتُ مِن الظَّالِمينَ. فاستجَبْنا له دُعاءَه، وخلَّصْناه مِن الغَمِّ والشِّدَّةِ، وكما نجَّينا يونُسَ مِن غَمِّه حين دَعانا، كذلك نُنْجِي المؤمِنينَ مِن كُرَبِهم وهمومِهم.

يَقولُ اللهُ تعالى: واذكُرْ -يا محمَّدُ- زكريَّا حين دعا رَبَّه قائِلًا: رَبِّ، لا تترُكْني وَحيدًا لا عَقِبَ لي، وهَبْ لي وارِثًا يقومُ بأمرِ الدِّينِ في النَّاسِ مِن بَعدي، وأنت خَيرُ الباقينَ وخَيرُ مَن يخلُفُني بخيرٍ. فاستجَبْنا له دُعاءَه، ووهَبْنا له ولَدًا اسمُه يَحيى، وجعَلْنا زوجَتَه وَلُودًا صالحةً للحَملِ والولادةِ؛ إنَّ زكريَّا وزَوجَه ويحيَى كانوا يُبادِرونَ إلى فِعلِ الطَّاعاتِ وكُلِّ خَيرٍ، ويَدْعُونَنا راغِبينَ فيما عِندَنا، خائِفينَ مِن عذابِنا، وكانوا لنا خاضِعينَ مُتواضِعينَ.

يَقولُ اللهُ تعالى: واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- مَريمَ التي حَفِظَت فَرْجَها مِنَ الحَرامِ، فأرسلَ اللهُ إليها جِبريلَ عليه السَّلامُ، فنفخَ في جَيبِ قَميصِها، فوصَلَت النَّفخةُ إلى فَرجِها، فحَمَلت بعِيسى عليه السَّلامُ، وجعَلها الله هي وابنَها علامةً للناسِ تدلُّهم على قُدرتِه.

إن غاية ما يتمناه العبد من الله تعالى هو أن يستجيب لدعائه إذا دعاه، وأن يحقق له ما يتمناه، وأن يصرف عنه بلواه، ولمثل هذا يعمل العاملون.

إن "سورة الأنبياء" أطلق عليها العلماء اسم "سورة الاستجابة"؛ لأنها السورة الوحيدة من بين سور القرآن الكريم التي ورد فيها قوله تعالى: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" وتكرر ذلك أربع مرات مع أربعة من أنبياء الله تعالى، وهم حسب ترتيب السورة (نوح، أيوب، يونس، زكريا) عليهم جميعاً من الله السلام.

قال تعالى: (وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنبياء: 76، 77].

أولاً: استجابة الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام: إن سرعة استجابة الله تعالى لدعاء نبيه نوح -عليه السلام- تُثلج صدره، وتُنسيه همه، وتفرّج كربه، وتزيل عنه العناء، وتخفف عنه الآلام، بل وتشعره -عليه

السلام- بأنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأن ربه قد تقبل جهده وشكر سعيه، لذا أخذ المشركين من قومه أخذ عزيز مقتدر.

إن موقف نبي الله نوح -عليه السلام- فيه سلوى لكل من بعده من الأنبياء والرسل، وسلوى لكل أتباعهم ومن ساروا على نهجهم إن من أنقذ نوحاً ومن معه وأغرق الأرض كلها من أجلهم، قادر على حفظهم وتأييدهم ونصرهم، ما داموا لله عاملين، وللتضحية باذلين، وعلى الإيذاء صابرين، وعلى ربهم مُتوكلين، وإليه مُنيبين.

وفي موقف نبي الله نوح - عليه السلام - مع قومه درس عملي أن كرامة المؤمن عند الله تعالى عظيمة، فقد أغرق الله تعالى الأرض بمن عليها من أجل جماعة من المؤمنين لم يبلغوا المائة فرد.

ثانياً: استجابة الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام

قال تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ) [الأنبياء: 83، 84].

قال ابن القيم - رحمه الله - في الفوائد: "جمع هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه".

تعلمنا أن الابتلاء هو أصل الدعوات وأن المسلم لا يُمكّن له حتى يُبتلى.

وتعلمنا أن عاقبة الصبر والرضا بالقضاء كلها خير.

وتعلمنا أنه مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وأنه بالصبر واليقين يكون التمكين وتكون الإمامة في الدين.

وتعلمنا أن من يدعو ربه مُوقناً خاشعاً مُتبتلاً مُفتقراً متذللاً يُستجاب له مهما كانت مسألته، فأمره -سبحانه وتعالى- بعد الكاف والنون يقل للشيء سبحانه (كُنْ فَيَكُونُ).

وتعلمنا أن الله تعالى إذا رضي أعطى وإذا أعطى أدهش بعطائه، وشتان الفرق بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة.

وتعلمنا أن الابتلاء ليس معناه هوان المبتلَى على الله تعالى ولكنه يكون للأولياء تطهيراً وتمحيصاً واجتباءً واصطفاء.

وتعلمنا أن وقت الشدائد لا يثبت بجوار المبتلى إلا الصادقين الأوفياء، مثلما حدث من زوجة أيوب عليه السلام وصديقيه.

وتعلمنا أن الشكوى إلى الله تعالى لا تتنافى مع الصبر؛ فالشكوى لغير الله مَذلة ولكن الشكوى إلى الله مَكْرمة، وكما جاء في الحديث الشريف "مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ علَيهِ" (رواه الترمذي).

وتعلمنا أن نتأدب في اختيار مفردات الدعاء، فنبي الله أيوب – عليه السلام – قال: "أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ" ولم يقل "أنت مسستني بالضر"، وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه نبي الله إبراهيم –عليه السلام– حين قال: "وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ" ولم يقل "وإذا أمرضني فهو يشفين".

ثالثاً: استجابة الله تعالى لنبيه يونس عليه السلام قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: 87، 88].

مما حدث مع نبي الله يونس –عليه السلام– نتعلم أن حال المؤمن مع ربه في الرخاء يكون سبباً للتخفيف عنه عند البلاء، قال تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الصافات: 143، 144].

ونتعلم أنه لا حاد ولا مانع لرحمة الله تعالى إذا أذن بها، فقد كان نبي الله يونس –عليه السلام– في ظلمات ثلاث (ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت) ورغم ذلك أذن الله تعالى بتفريج الكرب عنه.

ونتعلم أن صدق التوجه إلى الله تعالى، وإظهار الذل والافتقار وقِلة الحِيْلة إليه سبحانه، أدْعَى إلى قبول الدعاء.

ونتعلم أنه على الداعية أن يكون صبوراً حليماً؛ لأن هذا أدْعَى لسرعة إقبال الناس عليه واستجابتهم لما يدعوهم إليه.

رابعاً: استجابة الله تعالى لنبيه زكريا عليه السلام قال تعالى: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: 89، 90].

إن قصة نبي الله زكريا – عليه السلام – تعلمنا ألا نقطع الرجاء في الله مهما انقطعت الأسباب.

وتعلمنا أن من أسباب استجابة الدعاء التضرع والابتهال وإظهار الضعف والافتقار بين يدي الله تعالى.

وتعلمنا أن الله تعالى إذا أعطى أذهل بعطائه؛ لأنه سُبحانه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه وأزال عواقبه وأتمه.

بعد الانتهاء من ذكر الأنبياء الأربعة، وهم (نوح – أيوب – يونس – زكريا) عليهم السلام، عقَّب الله تعالى بقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: 90].

إن سر استجابة الدعاء – بل فورية استجابة الدعاء – لخصته الآية في أمور ثلاثة، وهي:

1. يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

إن باغي الخير وفاعله دائماً ما يتحرك بهمة عالية، ونفس تواقة، ورغبة مُلحة، وبذل لا يتوقف ولا ينتهي، وكأن حال كل واحد منهم يقول: "لن يسبقني إلى الله أحد".

إن السباق في فعل الخيرات دليل على حسن الإيمان، وصدق اليقين، ومحبة رب العالمين.

والسباق في فعل الخيرات سبب لتفريج الكروب، وستر العيوب، واستجابة الدعاء، وقبول الرجاء، وسعادة الدارين.

2. وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً.

إن الدعاء عُدة العارفين الأكياس، وسلاح من لا سلاح له، وركن من لا قوة له، لا يُدفع به ذنب دون ذنب، ولا يُفرَّج به كرب دون كرب، فالأقوياء والضعفاء والمذنبون والأولياء لا غنى لهم عن الدعاء.

إن الدعاء سهم أول مُراده شِسْع النعل ومِلح الطعام ومُنتهى مداه هو الفردوس الأعلى، متى أطلقه العبد بكامل شروطه يعلم أنه صائب لا مَحالة عاجلاً كان أم آجلاً، فلا يتعجل الإجابة ولا يمَل من الإنابة.

3. وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

إن الدعاء ليس بطوله، ولا بتنميق مفرداته، ولكن بحال صاحبه مع خالقه، وبمنزلة ربه في قلبه.

إن مما استعاذ منه النبي – ﷺ – القلب الذي لا يخشع، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال: "اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الأربعِ: مِن علمٍ لا ينفعُ ومِن قلبٍ لا يخشعُ ومِن نفسٍ لا تشبعُ ومن دعاءٍ لا يُسمعُ" (رواه أحمد).

قال سهل بن عبد الله التستري: "شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال".

إن الذنوب تقسّي القلب، وتحُوْل بينه وبين الخشوع والتلذذ بالطاعة، والخشوع يتحقق بقدر اجتناب الذنوب وعدم التجرؤ على اقترافها.

ويجب أن نكون على يقين، إن الاستجابة ليست قاصرة على الأنبياء فحسب، بل إن كل من سار على دربهم واهتدى بهداهم داخل ضمن من يستجيب الله تعالى لهم.

إن الله تعالى عندما استجاب لنبيه أيوب عليه السلام قال:(رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)، فكل العابدين عبادة صحيحة خالصة هم أهل لأن يستجيب الله لدعائهم.

وعندما استجاب الله تعالى لنبيه يونس عليه السلام قال: (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)، فكل المؤمنين أهل لأن يستجيب الله لدعائهم. "بصائر تربوية" سُبُل الإجابة كما ورد في سورة الاستجابة"

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾﴿92﴾

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي: إنَّ مِلَّةَ الإسلامِ أيُّها الناسُ هي مِلَّتُكم الَّتي يَجِبُ أن تُحافِظوا على حدودِها، وتُراعوا حقوقَها، وأنْ تكونوا عليها، لا تنحرِفونَ عنها، مِلَّةً واحِدَةً، غيرَ مختلفةٍ.موسوعة التفسير

وقال أبو حيان: (ويحتمِلُ أنْ تكونَ هَذِهِ إشارَةً إلى الطَّريقةِ الَّتي كانَ عليها الأنبياءُ المذكورونَ مِن توحيدِ اللَّهِ تعالَى هي طريقَتُكم ومِلَّتُكم طريقةً واحدةً لا اختلافَ فيها في أُصولِ العقائدِ، بل ما جاءَ به الأنبياءُ مِن ذلك هو ما جاءَ به محمَّدٌ صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّم).

قال السعدي: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً أي: هؤلاءِ الرُّسلُ المذكورونَ هم أُمَّتُكم وأئِمَّتُكم الذين بهم تَأْتَمُّون، وبهَدْيِهم تقتدونَ، كلُّهم على دينٍ واحدٍ، وصراطٍ واحدٍ، والربُّ أيضًا واحدٌ).

(وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) أي: وأنا -لا غيري- مَنْ خلَقْتُكم وربَّيْتُكم بنِعَمي، فما دام أنَّ الرَّبَّ واحِدٌ والدِّينَ واحِدٌ، فأفرِدُوني بالعِبادةِ، ولا تُشرِكوا بي، ولا تختَلِفوا في ذلك.موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [المؤمنون: 51- 52].

وقال سُبحانَه: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى: 13].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((الأنبياءُ إخوةٌ مِن عَلَّاتٍ" الذين أمهاتُهم مُختلفةٌ وأبوهم واحِدٌ؛ أراد أنَّ إيمانَهم واحدٌ، وشرائِعَهم مُختَلفةٌ"، وأمَّهاتُهم شَتَّى، ودينُهم واحِدٌ)) رواه مسلم

قال الشيخ ابن عثيمين: فيه حَثٌّ على الاجتِماعِ، وتجنُّبِ الاختِلافِ، ولا شَكَّ أنَّ تحَزُّبَ المسلِمينَ إلى أحزابٍ مُتَفَرِّقةٍ مُتناحِرةٍ مُخالِفٌ لِما تقتَضيه الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ مِن الائتِلافِ والاتِّفاقِ، موافِقٌ لِما يريدُه الشَّيطانُ مِن التَّحريشِ بينَ المسلِمينَ، وإيقاعِ العَداوةِ والبَغضاءِ، وصَدِّهم عن ذِكرِ اللهِ وعن الصَّلاةِ؛ قال الله تعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ، وقال تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران: 103]

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾﴿93﴾

(وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أي: وتفرَّق النَّاسُ في دينِهم الذي شرَعَه اللهُ لهم، فصاروا فيه فِرَقًا وأحزابًا شَتَّى. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [المؤمنون: 53].

(كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) أي: كُلُّ أولئك المتفَرِّقينَ المختَلِفينَ في دينِ اللهِ صائِرونَ إلينا يَومَ القيامةِ، فنحكُمُ بينهم ونُجازيهم على أعمالِهم؛ إنْ خَيرًا فخَيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [الأنعام: 159].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾﴿94﴾

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) أي: فمَن يعمَلْ مِن الأعمالِ الصَّالحةِ وهو مُؤمِنٌ باللهِ ورُسُلِه، والحالُ أنَّه مُوَحِّدٌ لله تعالى مُخلِصٌ له في عَمَلِه؛ فلن يجحَدَ اللهُ عَمَلَه ولن يُضيعَه، بل يُثيبُه عليه يومَ القيامةِ. موسوعة التفسير

والعمل الصالح هو: أي عمل أو فعل أو قول يرضاه الله سبحانه وتعالى من عباده ويقوم به العبد بقصد التقرُّب به إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال القرطبيُّ: («مِنْ» للتبعيضِ لا للجِنسِ؛ إذْ لا قُدرةَ للمُكَلَّفِ أن يأتيَ بجَميعِ الطَّاعاتِ كُلِّها، فَرضِها ونَفْلِها).

(وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) أي: ونحن نكتُبُ أعمالَه الصَّالِحةَ كُلَّها، صَغيرَها وكَبيرَها، لا نَترُكُ منها شَيئًا، وما كتَبْناه غيرُ ضائعٍ، بل هو باقٍ لصاحِبِه؛ لِنُطلِعَه عليه يومَ الجَزاءِ، ونجازيَه على ما قدَّمَ. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ أي: مُثبِتونَ له في اللَّوحِ المحفوظِ، وفي الصُّحُفِ التي مع الحَفَظةِ).

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾﴿95﴾

(وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) أي: ومُمتَنِعٌ على قَريةٍ أهلَكْناها أن يَرجِعَ أهلُها. موسوعة التفسير

- ممتَنِعٌ على قريةٍ أهلَكْناها أن يَرجِعَ أهلُها بعد مَوتِهم إلى الدُّنيا.
- ومُمتَنِعٌ على أهل قرية أهلكناهم بالطَّبعِ على قُلوبِهم أنَّهم يتوبونَ ويَرجِعونَ عن كُفرِهم.

ينقسمُ التحريمُ إلى تحريمٍ كونيّ متعلِّقٍ بربوبيةِ الله وخَلقِه، وإلى تحريمٍ دينيّ متعلِّقٍ بإلهيته وشرعِه، أمَّا التحريمُ الكونيُّ فكقولِه تعالى: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وقولِه: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) [القصص: 12]، وأمَّا التحريمُ الدينيُّ فكقولِه تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ [المائدة: 3]، وقولِه: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) [النساء: 23].

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾﴿96﴾

(حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) أي: حتى إذا فُتِحَ السَّدُّ الذي حُبِسَ وراءَه قَبيلَتا يأجوجَ ومأجوجَ، فخَرَجوا منه. موسوعة التفسير

قال السعدي: فيه تحذيرٌ مِن اللهِ للنَّاسِ أن يُقيموا على الكُفرِ والمعاصي، وأنَّه قد قَرُب انفِتاحُ يأجوجَ ومأجوجَ.

✉ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ قيل مشتق من قولهم أجّت النَّار إذا التهبت وذلك أنَّهم أمة خبيثة تحرق وتدمر في الأرض، وقيل مشتق من الماء الأجاج وهو شديد الملوحة، وقيل من الأج وهو شدة العَدوِ والركض. نهاية العالم

✍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ قبيلتان عظيمتان أو شعبان من بني آدم، ذكر الله تبارك وتعالى في سورة الكهف أن ذا القرنين في تطوافه في الأرض بلغ بين السدين فوجد من دونهما قوماً اشتكوا له من الضرر الذي يلحق بهم من يأجوج ومأجوج وطلبوا منه أن يقيم بينهم سداً يمنع فسادهم فاستجاب لطلبهم.

كما قال تعالى: قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ [الكهف: 94 - 99].

✍هم أمتان من جنس البشر، من ذرية آدم –عليه السلام–، والذي يدلُّ على أنهم من ذرِّيَّة آدم υ ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري τ عن رسول الله ρ قال: "يقولُ اللَّهُ تَعالَى: يا آدَمُ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ في يَدَيْكَ، فيَقولُ: أخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قالَ: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قالَ: مِن كُلِّ ألْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وتَرَى النَّاسَ سُكارَى وما هُمْ بسُكارَى، ولَكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وأَيُّنا ذلكَ الواحِدُ؟ قالَ: أبْشِرُوا، فإنَّ مِنكُم رَجُلًا ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألْفًا".

✍ يتميزان عن بقية البشر بالاجتياح المروع، والكثرة الكاثرة في العدد، والتخريب، والإفساد في الأرض بصورة لم يسبق لها مثيل.

قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يحفُرونَ كلَّ يومٍ حتَّى إذا كادوا يَرونَ شُعاعَ الشَّمسِ قالَ الَّذي عليهم ارجِعوا فسنَحفرُهُ غدًا فيعيدُهُ اللَّهُ أشدَّ ما كانَ حتَّى إذا بلَغت مُدَّتُهم وأرادَ اللَّهُ أن يبعثَهُم علَى النَّاسِ حفروا حتَّى إذا كادوا يَرونَ شعاعَ الشَّمسِ قالَ الَّذي عليهِم ارجِعوا فستحفُرونَهُ غدًا إن شاءَ اللَّهُ تعالى واستَثنَوا فيعودونَ إليهِ وَهوَ كَهَيئتِهِ حينَ تركوهُ فيحفُرونَهُ ويخرجونَ علَى النَّاسِ" صحيح ابن ماجه

(وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) أي: ويأجوجُ ومأجوجُ عندَ خُروجِهم يُقْبِلونَ مِن كُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ، فيَمشُونَ مُسرِعينَ للإفسادِ في الأرضِ. موسوعة التفسير

✍ يخرجون بسرعة عظيمة وجمع كبير لا يقف أمامهم أحد من البشر ، ويكون هذا الخروج علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا وقيام الساعة وهذا ما ثبت في "الصحيحين" عن زينب بنت جحش أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقولُ: "لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ،

فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ الإبْهَامِ والَّتي تَلِيهَا، قالَتْ زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يا رَسولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ" صحيح البخاري

بل جاء أنهم من كثرتهم تكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا، فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة الطبرية، فيمر المار فيقول: قد كان هاهنا ماء.

عن النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم -في آخرِ حديثِ الدَّجَّالِ الطويلِ: ((ويَبعَثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ، وهم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلونَ، فيمُرُّ أوائِلُهم على بُحَيرةِ طَبَريَّةَ، فيَشرَبونَ ما فيها، ويمُرُّ آخِرُهم فيَقولونَ: لقد كان بهذه مَرَّةً ماءٌ! ويُحصَرُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه (يُحبَسُ في جبلِ الطورِ)، حتى يكونَ رأسُ الثَّورِ لأحَدِهم خَيرًا مِن مئةِ دينارٍ لأحَدِكم اليومَ! فيَرغَبُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه، فيُرسِلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ(دودٌ) في رِقابِهم، فيُصبِحونَ فَرْسَى كموتِ نَفْسٍ واحدةٍ، ثمَّ يَهبِطُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى الأرضِ، فلا يَجِدونَ في الأرضِ مَوضِعَ شِبرٍ إلَّا ملأه زَهَمُهم ونَتْنُهم، فيَرغَبُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى الله، فيُرسِلُ اللهُ طَيرًا كأعناقِ البُختِ(نوعٌ من الإبلِ)فتَحمِلُهم فتَطرَحُهم حيثُ شاء الله، ثمَّ يُرسِلُ اللهُ مَطرًا لا يَكُنُّ منه بَيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيَغسِلُ الأرضَ حتى يترُكَها كالزَّلَفةِ، ثمَّ يُقالُ للأرضِ: أنبتي ثَمَرَتَك، ورُدِّي بركَتَك، فيَومَئذٍ تأكُلُ العِصابةُ مِن الرُّمَّانةِ، ويَستَظِلُّونَ بِقِحْفِها(بقِشرِها)، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حتى إنَّ اللِّقْحةَ (النَّاقةَ الحَلُوب) مِن الإبِلِ لَتَكفي الفِئامَ مِن النَّاسِ! واللِّقْحةَ مِن البَقَرِ لَتَكفي القبيلةَ مِن النَّاسِ! واللِّقْحةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكفي الفَخْذَ مِن النَّاسِ! فبينما هم كذلك إذ بَعَث اللهُ ريحًا طَيِّبةً، فتأخُذُهم تحتَ آباطِهم، فتَقبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤمِنٍ وكُلِّ مُسلِمٍ، ويبقَى شِرارُ النَّاسِ، يَتَهارجونَ فيها تَهارُجَ الحُمُرِ (يُجامِعُ الرِّجالُ النِّساءَ عَلانِيَةً بحَضرةِ النَّاسِ، كما يفعَلُ الحَميرُ، ولا يكتَرِثونَ لذلك)، فعليهم تقومُ السَّاعةُ)) رواه مسلم

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾﴿97﴾

(وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أي: حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ اقتَرَبَ مَجيءُ يومِ القيامةِ الذي وعَدَ اللهُ بإتيانِه وأن يَبعَثَ فيه عِبادَه مِن قُبورِهم للحِسابِ والجَزاءِ؛ فإنَّه إذا وُجِدَت تلك الأهوالُ والفِتَنُ والمِحَنُ الواقِعةُ في آخِرِ الزَّمانِ، فقد اقتَرَبت السَّاعةُ. موسوعة التفسير

(فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: فإذا أبصارُ الكُفَّارِ مَفتوحةٌ لا تَطرِفُ؛ مِن شِدَّةِ ما يَرَونَه مِن أهوالٍ وأمورٍ عِظامٍ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ [إبراهيم: 42- 43].

(يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) أي: يَقولونَ: يا وَيلَنَا قد كُنَّا في غَفلةٍ مِن هذا اليَومِ. موسوعة التفسير

وقال ابن عاشور: (ويَا وَيْلَنَا دعاءٌ على أنفسِهم مِن شدةِ ما لحِقَهم).

(بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أي: بلْ كُنَّا ظالِمينَ لأنفُسِنا بكُفرِنا بربِّنا، ومَعصِيَتِنا له، وإعراضِنا عن آياتِه، وعبادَتِنا غَيرَه. موسوعة التفسير

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾﴿98﴾

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) أي: يُقالُ لهم: إنَّكم -أيُّها المشرِكونَ- وما تَعبُدونَ مِن دُونِ اللهِ وَقودُ جَهنَّمَ، يُرمى بكم جميعًا في النَّارِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (الحِكمةُ في دخولِ الأصنامِ النَّارَ -وهي جمادٌ لا تَعقِلُ، وليس عليها ذَنبٌ- بيانُ كَذِبِ مَن اتخَذَها آلِهةً، ولِيَزدادَ عَذابُهم).

كما قال تعالى: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [البقرة: 24].

وقال سُبحانه: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ [الصافات: 22، 23].

(أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) أي: أنتم -أيُّها المشرِكونَ- داخِلونَ جَهنَّمَ مع آلهَتِكم التي كُنتُم تَعبُدونَها مِن دُونِ اللهِ. موسوعة التفسير

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾﴿99﴾

(لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا) أي: لو كانت تلك الآلِهةُ المعبودةُ مِن دُونِ اللهِ آلِهةً حَقًّا كما يَزعُمُ عابِدوها، لَمَا دخَلَ العابِدونَ والمعبودونَ جَهنَّمَ، ولَمَنَعت تلك الآلهةُ عابِديها مِن دُخولِها. موسوعة التفسير

(وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) أي: وكلٌّ مِنَ الآلهةِ الباطِلةِ وعابِديها في جهَنَّمَ ماكِثونَ. موسوعة التفسير

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾﴿100﴾

(لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) أي: للمُشرِكينَ وآلهَتِهم في جَهنَّمَ زَفيرٌ مِن شِدَّةِ العَذابِ. موسوعة التفسير

وقال البقاعي: (لَهُمْ أي: لِمَن فيه الحياةُ مِن المذكورينَ: العابدينَ مُطلَقًا، والمعبودينَ الرَّاضينَ كفِرعَونَ).

قال ابن عطية: «الزفيرُ» صَوتُ المعَذَّبِ، وهو كنهيقِ الحَميرِ وشِبهُه، إلَّا أنَّه مِنَ الصَّدرِ.

كما قال تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ [هود: 106].

(وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) أي: وهم في جَهنَّمَ صُمٌّ لا يَسمَعونَ شَيئًا. موسوعة التفسير

- أنَّهم لا يسمعونَ ما يَسُرُّهم.
- أو لا يسمعُ بعضُهم زفيرَ بعضٍ؛ لشدةِ الهولِ، وفظاعةِ العذابِ. المحرر

قال الشنقيطي: أنَّهم لا يرونَ شيئًا يَسُرُّهم، ولا يسمعونَ كذلك، ولا يَنْطِقونَ بِحُجَّةٍ، كما أنَّهم كانوا في الدُّنْيا لا يَسْتَبْصِرونَ، ولا يَنْطِقونَ بالحقِّ، ولا يَسْمَعونَه، فنُزِّلَ ما يَقولونَه ويَسْمَعونَه ويُبْصِرونَه منزلةَ العَدَمِ؛

لعَدَم الانتفاعِ به، والعربُ في كلامِها تُطلِقُ الصممَ على السماعِ الذي لا فائدةَ فيه. وكذلك الكلامُ الذي لا فائدةَ فيه، والرُّؤيةُ التي لا فائدةَ فيها.

وأيُ حسرةٍ أعظمُ من فواتِ رضا الله وجنته، واستحقاقِ سخطهِ وناره على وجهٍ لا يمكنُ معه الرجوعُ ليُستأنف العملُ، ولا سبيلَ له إلى تغييرِ حالهِ ولا أمل. وكثير من الناس في الدنيا في غفلةٍ عن هذا الأمرِ العظيم، فالواجب علينا أن نحذر من مصير أهل النار لنسلم في الدنيا والآخرة، ولذلك فإن التذكير بعذاب النار وقاية للعباد من الوقوع في المهالك.

فلنحذر فإن في جهنم من النكال والعذاب الشديد، والألم الموجع، والطعام الكريه المر ما تقشعر لهوله الأبدان، وتتفطر له الأكباد، وتذهل منه العقول كما قال -سبحانه-: (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا) [المزمل: 12، 13].

مَثِّلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المغرورْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورْ

إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُدْنِيَتْ حَتَّى عَلَى رَأْسِ الْعِبَادِ تَسير

وَإِذَا الْجِبَالُ تَقَلَّعَتْ بِإِصُولِها فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابْ تَسِيرْ

وإذا البحار تأججت نيرانها ورأيتها مثل الحميم تفور

وَإِذَا الْوَلِيدُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ يخشى الحساب وقلبه مذعور

يقول الله: (يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) [المزمل:17]، كيف نكون ذلك اليوم؟ بم نجيب إذا سؤلنا ؟ ماذا كنا نعمل؟ ماذا نقول؟ فلنعد من الآن الجواب.

"قالَ اللهُ تعالى: وعزتِي وجلالِي، لا أجمعُ لعبدِي أمنينِ ولاخوفينِ، إنْ هوَ أمنَنِي في الدنيا أخفتُه يومَ أجمعُ عبادِي، وإنْ هوَ خافني في الدنيا أمنتُه يومَ أجمعُ عبادِي" أخرجه ابن حبان في صحيحه

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) [الكهف: 30، 31].

أَهْلُ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ هُمْ عِبَادٌ اصْطَفَاهُمُ اللهُ تعالى وَاخْتَارَهُمْ على مَرِّ العُصُورِ وَالدُّهُورِ أَجْيَالاً، يَوْمَ جَعَلَهُمْ مَفَاتِيحَ الخَيْرَاتِ وَالرَّحَمَاتِ، فَعَاشُوا في هَذِهِ الحَيَاةِ بِالذِّكْرِ الجَمِيلِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ الجَلِيلِ، وَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَاللهُ تعالى رَاضٍ عَنْهُمْ غَيْرُ غَضْبَانَ، يَوْمَ أَصْبَحُوا نِعْمَةً على البِلَادِ وَالعِبَادِ لَا نِقْمَةً عَلَيْهِمْ، يَوْمَ أَصْبَحَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ عَبْدَاً مُسْلِمَاً مُنْقَادَاً مُطِيعَاً مُسْتَسْلِمَاً، مَا إِنْ يَسْمَعُ رَحْمَةً مِنَ الرَّحَمَاتِ، وَلَا بَابَاً مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرَاتِ إِلا كَانَ إِلَيْهِ سَبَّاقَاً طَالِبَاً لَهُ وَمُشْتَاقَاً.

وليس أمام الإنسان فرصة للعمل إلا حياته في هذه الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. وصية رسول الله -ﷺ- "اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ" صحيح الترغيب.

وعمر الإنسان قصير وأجله غائب لا يدري في أي ساعة يأتيه، (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) وهذه الأيام التي نعيشها في هذه الدنيا فرصة نفيسة لا تقدر بثمن، إن المؤمن الصادق في إيمانه بالله عز وجل يتقلب في الطاعات من طاعة إلى طاعة، فلا ينعم المؤمن في دار الدنيا ولا يهدأ له بال ولا يرتاح، حتى يطأ بقدمه الجنة، وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بمواصلة العبادة، والاجتهاد في الطاعات حتى الممات فقال عزَّ من قائل:(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[الحجر: 99].

لقد بشر الله -تعالى- عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات بكبير الجزاء، وعظيم الثواب، ورفيع الدرجات؛ في ست وثلاثين آية من كتابه الكريم، بشرهم بالجنة والخلود فيها، والأمن يوم الخوف، والفوز يوم يخسر الناس كلهم، وبشرهم بزيادة الفضل لهم، والوعد بالمغفرة، وعظيم الثواب والأجر، وهنأهم بالفوز والمقام الطيب في مستقر رحمته، وبشرهم بادخار أعمالهم، وحفظها لهم.